MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 6-3-97
Photo No. : 62

السلام والمسيرة

لا شك أن في هذه العبارة شيئاً من السحر. تفوّه بها مرة، وسترى كيف تنقلب صورتك من مخرب منبوذ الى رجل دولة. ردّدها ليلاً نهاراً كلما لاحظت مذياعاً او آلة تصوير تتجه نحوك، وها هي الابواب الموصودة تَفتح امامك. لكن الاجدى ان تعرف ان تعيدها الى اصلها الانكليزي. عندها ستشهد الاعظم: رئيس الولايات المتحدة ينحرف، ولو قيد انملة، عن انحياز رسمي وشخصي قديم الى اسرائيل فيسجّل تحفظه حتى لا نقول اعتراضه على اجراء اسرائيلي.

انها "مسيرة السلام" او بالاحرى Peace Process، الوسيلة الدعائية الفضلى في نهاية هذا القرن.

بالتأكيد، هناك الكثير من السخرية المرّة في هذه التحولات التي تتيحها الكلمة السحرية، ولعل اكثر من يستشعر هذه المرارة هو ياسر عرفات، بعد ان اصبح افضل من يسخّرها لمصلحته. انها المرارة المتأتية من تشبّث الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة، بتجاهل بل محاربة كل ما هو حق عربي، طالما لم يتبنّ العرب الرؤية الغربية لقضاياهم. تلك الرؤية كانت تقول، على امتداد ما يقارب النصف قرن، ان العربي يعشق الحرب والدمار، وانه يضمر العداء لاسرائيل ليس لانها سلبت منه ارضاً، وانما لانه يرفض التعايش واختلاف الآخر ومختلف القيم الانسانية. تلك الروية ما زالت تتحكم بالتعاطي الغربي مع سوريا ومع لبنان.

بيد ان محاسبة الغرب على هذه الجريمة الايديولوجية، كما على جرائمه الاخرى، ولّى زمانها، او ان وقتها لم يأتِ بعد. في اللحظة الراهنة، لم يعد يجدي صرف الوقت على محاولة قتل الناطور، فالحاجة الى اكل العنب باتت حيوية. واذا كانت كلفة استعادة بعض من الحقوق العربية والفلسطينية تحديداً هي استعارة مفردات الغرب، فليكن. المهم ان لا تذهب هذه الاستعارة الى اعادة كتابة التاريخ، وهذا اصلاً غير حاصل، الا عند بعض عرب الاطراف. على العكس من ذلك، نرى طقوس "مسيرة السلام" تُستغل في خدمة احد الحقوق العربية الجوهرية، اي الحق العربي على القدس.

غير ان الاستخدام المتكرر لعبارة "مسيرة السلام" لا يعود فقط الى اغراض دعائية. انه ينبع ايضاً من صميم المنطق التفاوضي. فآلية المفاوضات، خصوصاً في ظل الفهم الاميركي لها، تجعل بين الطرفين المتفاوضين شيئاً مشتركاً، عينا عملية التفاوض نفسها. اذ لا يعود في إمكان اي من الطرفين الانفكاك عن الآخر. وبهذا المعنى، اصبحت اسرائيل في حاجة الى الابقاء على شعرة معاوية مع اعدائها. اما بالنسبة الى العرب، والفلسطينيين تحديداً، فالوضع مختلف، اذ هم اصلاً في حاجة الى التفاوض مع عدوهم طالما انه هو الاقوى.

وعليه، يصير فن التفاوض ان توحي الى العدو ان الخطوة التي يحضّر لها من شأنها قطع الخيط الرفيع المتبقي، فيما انت تردد انك من جهتك مؤمن بمسيرة السلام بل حريص عليها. ويكون التحذير اكثر جدوى اذا بدا ان الخيط الرفيع بدأ ينقطع، كما ظهر منذ انطلقت التحركات الجماهيرية الفلسطينية ضد مشروع بنيامين نتنياهو في جبل ابو غنيم، وكما حصل قبل ذلك في قضية النفق.

بالتأكيد، قد تنتهي قضية ابو غنيم كما انتهت قضية النفق. لكن المهم ليس بالضرورة النتيجة الآنية، وان تكن خطوات الامر الواقع في القدس خطرة في ذاتها. المهم هو في تأثير هذه القضية الطارئة على مفاوضات الوضع النهائي. وتلك هي على الارجح بوصلة ياسر عرفات الذي ادرك قبل غيره ان الكلمة الجوهرية في العبارة السحرية ليست "السلام" وانما "المسيرة".

سمير قصير